مسألة طلب الدعاء من الأموات:

اشتهر عند جمع من العلماء وطلاب العلم أن ابن تيمية يقرر أن طلب الدعاء من الأموات بدعة وليس شركاً.. وعوّلوا على بعض النقول عن ابن تيمية في هذا الشأن[3]، ولكن لابن تيمية عدة تقريرات في أن ذلك شرك، وأن طلب الدعاء من الأموات نظير استشفاع المشركين بآلهتهم.

ومن ذلك قوله: «ومن رحمة الله أن الدعاء المتضمن شركاً، كدعاء غيره أن يفعل، أو دعائه أن يدعو ونحو ذلك لا يحصل غرض صاحبه»[4].

فحكم ابن تيمية بأن طلب الدعاء من الأموات شركاً، وأنه كطلب الحوائج من الغائبين والأموات.

---

(٣) ينظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص٢٧، ٤٩-٥١، ٢٩١، ٢٩٥، ومجموع الفتاوى ٢٧/ ٧٢.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٧٠٢.

وأصرح من المقالة السابقة ما يلي: «فإذا كان ﷺ نهى عن الصلاة التي تتضمن الدعاء لله وحده خالصاً عند القبور، لئلا يفضي ذلك إلى نوع من الشرك بربّهم، فكيف إذا وجد ما هو نوع من الشرك من الرغبة إليهم، سواء طلب منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، أو طلب منهم أن يطلبوا ذلك من الله تعالى؟»(١).

والمقصود أنه -يرحمه الله- سوّى بين طلب الحوائج من أهل القبور، وبين طلب الدعاء منهم، فجعل ذلك كله من الشرك.

وقال -في موضع ثالث-: «والمقصود أنه إذا كان السلف والأئمة قالوا في سؤاله بالمخلوق ما قد ذكر فكيف بسؤال المخلوق الميت؟ سواء سئل أن يسأل الله، أو سئل قضاء الحاجة ونحو ذلك، مما يفعله بعض الناس، إما عند قبر الميت، وإما مع غيبته»(٢).

فقد جعل ابن تيمية طلب الدعاء من الأموات وسؤال الأموات قضاء الحوائج على حدّ سواء، وأن ذلك كله من سؤال المخلوق الميت.

وذَكَر ابن تيمية – في موطن رابع – أن طلب الدعاء من الأموات هو عين الشفاعة الشركية التي تلبّس بها النصارى ومشركو العرب، فقال:

«فلو شرع أن يطلب من الميت الدعاء، والشفاعة، كما كان يطلب منه في حياته، وكان ذلك مشروعاً في حق الأنبياء، والصالحين، فكان يسنّ أن يأتي الرجل قبر الرجل الصالح، نبيّاً كان أو غيره، فيقول: ادع لي بالمغفرة والنصر، والهدى والرزق، اشفع لي إلى ربك، فيتخذ الرجل الصالح شفيعاً بعد الموت، كما يفعل ذلك النصارى، وكما تفعل كثير من مبتدعة المسلمين، وإذا جاز طلبه هذا منه، جاز أن يطلب ذلك من الملائكة، فيقال: يا جبريل، يا مكائيل اشفع لنا إلى ربك، ادع لنا.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٧٧١.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٧٩٤.

ومعلوم أن هذا ليس من دين المسلمين، ولا دين أحد من الرسل، لم يسنّ أحد من الأنبياء للخلق أن يطلبوا من الصالحين الموتى، والغائبين، والملائكة، دعاء ولا شفاعة، بل هذا أصل الشرك، فإن المشركين إنما اتخذوهم شفعاء، قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة يونس:١٨][(١)]».

«فأخبر أن هؤلاء الذين اتخذوا الشفعاء هم مشركون»[(٢)]، فكذا الذين يطلبون الدعاء من الأموات، فهذا كله أصل الشرك وأساسه.

وجزم ابن تيمية في موطن خامس أن طلب الشفاعة من الأموات، وكذا سؤال الأموات الدعاء هو أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين، وفي مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين الذي أحدثوا من الشرك والعبادات ما لم يأذن به الله[(٣)].

وقال - في موطن سادس-: من استغاث بميِّت أو غائب من البشر بحيث يدعوه في الشدائد والكربات؛ فإن هذا ضال جاهل مشرك عاص لله باتفاق المسلمين، فإنهم متفقون على أن الميت لا يُدعى، ولا يُطلب منه شيء، سواء كان نبياً أو شيخاً أو غير ذلك»[(٤)].

فقوله: «إن الميِّت لا يُدعى» يندرج فيه طلب الدعاء من الأموات، لاسيما وأنه أعقب ذلك بتجويز طلب الدعاء من الأحياء الحاضرين[(٥)].

---

(١) قاعدة عظيمة ص ١٢٠، ١٢١.

(٢) التدمرية ص ١٩٦، ١٩٧.

(٣) انظر: قاعدة جليلة ص ٢٤، ٢٥.

(٤) جامع المسائل ٣/ ١٤٥، ١٤٦= - باختصار.

(٥) انظر: جامع المسائل ٣/ ١٤٦.

والمقصود أن ابن تيمية قرر في المواطن السابقة أن طلب الدعاء من الأموات شرك، وهذا ما حكاه عنه أئمة الدعوة في نجد في غير موضع.

ويبقى الجواب عن الجمع بين تلك النقول، وبين ما شاع عن ابن تيمية أن طلب الدعاء من الأموات بدعة... وقد أجاب بعض الباحثين المعاصرين عن ذلك الإشكال كما هو مبسوط في موضعه(١).

وقد يتعذّر على مثلي القطع في إزالة هذا الاشتباه، ولكن نستصحب أموراً قد تسهم في تجلية هذه المسألة، منها: أن يقال أن ابن تيمية قد يتجوّز في بعض إطلاقاته، فقد يطلق البدعة على ما هو شرك وتنديد لاسيما أن البدعة قد تكون بدعة شركة كفرية، وقد يتوسّع في معنى الشرك، ليستوعب كل وسيلة وذريعة إلى الشرك الأكبر، وأمر آخر أن ابن تيمية يجعل مجرد طلب الدعاء من الأحياء ليس طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وأن من لم يكن مقصوده في طلب الدعاء من الآخرين إلا طلب حاجته، ولا يريد نفع ذلك الداعي فهذا ليس من المقتدين بالرسول ﷺ(٢).

كما أنه يقرر أن سؤال الناس أموالهم ونحوه يعدّ نوعاً من الشرك، فكيف بسؤال الأموات والغائبين؟

ولا يَرِد الاحتجاج بأن ابن تيمية - وغيره - يقول بسماع الأموات، فإنه لو قيل بذلك، فلا نزاع بأن الأموات لا ينفعون ولا يضرون، وطلب الدعاء منهم لاينفك عن الاعتقاد بأن لهم نفعاً وتأثيراً، وهذا شرك بيّن ظاهر.

---

(١) ينظر: الدعاء ومنزلته من العقيدة لجيلان العروسي ٢/ ٤٩٧-٥٠٠، وبحث في حكم طلب الدعاء من الميت عند قبره (غير منشور) لعبدالله العجيري ص ١٢٨-١٤٥.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ١/ ١٨٦، ١٩٣.

ثم إنه ما الفارق بين طلب الدعاء من الأموات، وبين الشفاعة الشركية التي قارنها مشركو العرب والنصارى ومن شابههم من مبتدعة أهل الإسلام؟!

وقد يقال إن طلب الدعاء من الأموات هو شرك أكبر؛ لأنه طلب منهم ما لا يقدر عليه المخلوق.

ولو قيل عن طلب الدعاء من الأموات إنها وسيلة..، فيحتمل أنها وسيلة لما هو أكبر وأشنع منه كأن يطلب الغوث من الأموات، أو يسألهم الشفاء وحصول الولد ونحوه[1]، فكلاهما شرك أكبر، إلا أن طلب الغوث من الأموات أو الذبح للجن ونحوه أشنع من طلب الشفاعة من الأموات أو سؤالهم الأموات والله أعلم.

ولو تعذّر إزالة هذه الاشتباه، ودفع هذا الإشكال، فلا أقل أن يجمع كلام ابن تيمية كله في هذه المسألة، فهذا أقرب إلى التحقيق والموضوعية.

---

(١) ينظر: سبل السلام شرح نواقض الإسلام لابن باز، جمع: محمد الفهري ص ٨٦.